المتن

المثال الرابع: قوله تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ"[البقرة: 29].

الشرح

قال أهلُ التعطيل:

إنكم يا أهل السُنة حرفتم النص لأن ظاهر استوى إلى السماء أنه كان في الأرض نازلًا ثم صعِد إلى السماءِ مرتفعًا.وجهُ ذلك أن" إلى" إيش؟ للغاية والغاية لابد أن يكون قبلها"مُغَيَّا" فيكون"استوى إلى السماء" ذِكْرها بعد خلق الأرض"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ"[البقرة:29] فيقولون إن ظاهر الآية أن اللهَ كان في الأرض خلق مافي الأرض ثم إيش؟ استوى إلى السماء فهل أنتم تقولون بهذا الظاهر يا أهل السُنة؟

يقول أهلُ السُنة: لانقولُ بهذا.

يقولون: إذًا أوَّلتم النص.

فنحنُ نقول: إن ظاهره أن اللهَ في الأرض ثم صَعِدَ إلى السماء فإن قلتم به فقد قلتم بالظاهر لكن لاتقولون به وإن لم تقولوا به فقد أوَّلتم ؛وحينئذٍ لاتعيبوا علينا التأويل ولا تُنكروا علينا التأويل لأنكم إذا أنكرتم علينا ما نُؤوِّل وأوَّلتم أنتم فهذا تحكُّمٌ وتناقضٌ كيف تقولون هذا النص يجوز تأوِّيله وهذا النص لايجوز؟ ومَنْ الذي قال لكم هذا؟ طيب نشوف الآن المعنى"اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ"ذكِرت في موضعين.

-1في سورة البقرة: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[البقرة:29]

-2في سورة فصلت : قال الله تعالى " قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ *وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" [فصلت:9-11].

فظاهر الآيتين على زعمهم أن اللهَ كان في الأرض ثم صعد إلى السماء ؛ومعلومٌ أن أهلَ السُنةِ والجماعةِ لايقولون بهذا بل يقولون: إن علو الله من صفاته الذاتية التي لم يزل ولايزالُ مُتصفًا بها فلننظر الآن جواب أهل السنة.

الحقيقة أنه كان ينبغي لنا أننا إذا ذكرنا الأمثلة نذكر ما ادَّعاهُ أهلُ التعطيل؛ لكن بِناءً على أن هذا مفهومٌ أهملناه؛ وليتنا لم نهمله لأن الذي يقرأ الكتاب ما يعرف ماذا يقول أهلُ التعطيل في إلزام أهلِ السُنة واضح؟طيب على كل حال بيَّنا الآن ما يدعيه أهلُ التعطيل؛ وإيش يقولون؟ إن ظاهر الآية أن اللهَ كان في الأرض ثم ارتفع إلى السماء؛ هذا هو ظاهرُ الآية. ويتكلمُ اللهُ عن خلق الأرض وتقديرالأقوات فيها ثم استوائه فأنتم لاتقولون بهذا.طيب الجواب؟

المتن

والجواب: أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجحه ابن جرير، قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف "وأولى المعاني بقول الله - جل ثناؤه"ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُن". علا

عليهن وارتفع، فدبرهُن بقدرته، وخلقهن سبع سموات". أهـ

الشرح

وعلى هذا الرأي تكون"إلى" بمعنى "على"؛"ثم استوى إلى السماء" أي ثم استوى على السماء. وهذا فيه شيءٌ من النظر لأن الاستواء لايُقال إلا على العرش؛ ولكن يمكن أن يُجاب عنه فيُقال "استوى على السماء"هذا علوٌ مطلقٌ وقد بينت النصوص أن المراد به العرش.

ابن جرير يقول:علا عليهن فيجعل"إلى"بمعنى"على" أي استوى على السموات أي علا عليها قلتُ الآن وهذا فيه شيءٌ من النظر لأن الاستواء خاصٌ بالعرش لأنه علوٌ خاصٌ غير العلو المُطلق؛ لكن يمكن أن يُجاب عن هذا فيُقال: استوى على السموات أي علا عليهن لكن هو على العرش؛ ومَن علا على العرش فقد علا على السموات لأن العرش فوقها.

المتن

وذكره البغوي في تفسيره: قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف. وذلك تمسكًا بظاهر لفظ "اسْتَوَى". وتفويضًا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله - عز وجل.

الشرح

يقولون لأن استوى باللغة العربية بمعنى علا وارتفع.وكيف استوى؟مانعرف اللهُ أعلمُ استوى على السماء ؛استواءً يليقُ بجلاله ولانعلمُ كيف هذا؛ كما نقول في الاستواء على العرش.